

حظيت العولمة، كمفهوم نظري من ناحية، وكعملية ذات آليات تتغلغل في كافة مناحي الحياة على مستوى الكوكب من ناحية أخرى، بقدر كبير من الاهتمام، سواء على مستوى النخب الثقافية، والسياسية، والاقتصادية، أو على المستويات الشعبية.

هذا المفهوم الذي حفل بكافة تناقضات الواقع الذي يعكسه ويحتويه، فكان واسعاً فضفاضاً إلى حد الميوعة واللاتحديد في بعض الطروح، وكان ضيقاً، وحيد الاتجاه، تميطي في البعض الآخر منها، كل حسب إظاره النظري وتوجهه الأيديولوجي الذي انطلق منه في تحديده للمفهوم، وموقفه من محتواه، وكيفيات عمل آلياته، وما تفضي إليه من نتائج على كافة المستويات.

وقد كان من أهم المهام التي سعت إليها دراستنا منذ البداية - مناقشة مفهوم العولمة وفقاً للمقاربات النظرية التي انطلق منها، وبالتركيز على جوهره الرأسمالي المهيمن من ناحية، ومناقضات هذا الجوهر الرأسمالي ومضاداته من ناحية أخرى.

ورغم أن للعولمة "الرأسمالية تحديداً" تأثيرات عديدة على كافة البنى والعمليات المجتمعية على مستوى الكوكب، فإن تركيزنا الأساسي قد انصب في هذا الصدد - على الدور الذي تقوم به هذه العملية فيما يتعلق بأنساق القيم الاجتماعية في المجتمع المصري، وبالتأسيس على وجود شرائح طبقية متعدية الجنسية، خلقتها العولمة الرأسمالية على مستويات مختلفة، اقتصادية، وسياسية، وبيولوجية، حيث تبلور هدفنا الرئيس في تبين ماهية أنساق قيم بعضاً من هذه الشرائح العولمة -متعدية الجنسية- المنتمية تحديداً إلى المواقع الطبقية الوسطى المصرية، تلك المواقع التي تمثل مفصل البنية الطبقية ككل، وملئى تفاعلاتها، وأحد أهم ساحات الصراع داخلها.

فمن بين كافة الأنساق الاجتماعية، تحل أنساق القيم مكانة بالغة الأهمية، فإذا كانت القيم -في أحد تحديدها المجرده- تمثل حكماً عقلياً و/أو انفعالياً على أشياء مادية أو معنوية توجه اختيارنا بين بدائل السلوك في المواقف المختلفة،

فإنها قد تمثل بوصلة ناجعة توجهنا نحو عمليات التحول المجتمعي بكل ما تحفل به من تناقضات في لحظة تاريخية دينامية بعينها، حيث يتم استجلاء القيم من البنية المجتمعية، في نفس الوقت الذي قد تدلنا فيه تلك القيم ذاتها على تحولات البنية المجتمعية بمستوياتها وصعدها المختلفة والمتباينة، ولنر من خلال تلك الأنساق القيمة أنماط علاقات التفاعل والجدل بين المحلي والكوكبي، ولنتبين أوجه الاتساق والتناقض المتولدة عن هذه العلاقات والتفاعلات.

هذا الهدف الذي سعت الدراسة إلى تحقيقه من خلال استعراض ومناقشة قضايا العولمة، والشرائح الطبقيّة متعدية الجنسية، والقيم والسوعي الكوكبي ...، باعتبارها تمثل الإطار النظري لدراستنا، وهو الإطار الذي شمله الباب الأول، والذي عد بمثابة المنطلق نحو دراسة تحولات أنساق القيم الاجتماعية لدى الشرائح الطبقيّة الوسطى البازغة المصرية، بمستوياتها المختلفة، الاقتصادية، والسياسية، والثقافية ... الخ، والتي انطوى عليها الباب الثاني من الدراسة، والذي استعرضنا وناقشنا عبر فصوله نتائج دراستنا، فضلاً عن خاتمة اشتملت على مناقشة مكثفة لأهم وأبرز استخلاصاتنا في هذا الصدد.